

ذكر الله عز وجل

ذكر الله عز وجل أقل العبادات جهداً، وأعظمها أجراً، وأعمقها أثراً، فهو اعتصام بالله عز وجل، واستجارة به، ولجوء إليه، وذكر الله تبارك وتعالى هو غذاء الأرواح، وطمأنينة القلوب، ودواء النفوس. قال ابن القيم: به تُدفع الكربات، وتُرفع الدرجات، وتُقال العثرات، وذكر الله عز وجل هو السبيل القويم، والصراط المستقيم، لنيل مرضاة رب العالمين.

فوائد ذكر الله عز وجل

وفوائد الذكر لا تعد ولا تحصى، فقد ذكر ابن القيم في الوابل الصيب للذكر أكثر من سبعين فائدة، بعضها اجمل من بعض، لكني هنا أريد أن أسلط الضوء على واحدة من أعظم فوائد الذكر أثراً في حياة المسلم، وهي أن الذكر هو الوسيلة لتحقيق اليقين الصادق في قلب المسلم.

عن ابن عباس قال: كُنْتُ خَلَفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: "يَا غُلَامُ إِنِّي أَعَلَّمْتُ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجُفَّتِ الصُّحُفُ. (رواه احمد والترمذي والحاكم)، فحق يصل المؤمن لهذه الدرجة العالية من اليقين، عليه بمدوامه ذكر الله رب العالمين، في آن وحين، قال تبارك تعالى: { الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } (آل عمران: 191)

قال بعض السلف: الذكر هو المنزلة الكبرى التي منها يتزود العارفون ، وفيها يتجرون وإليها دائماً يترددون، وهو منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل ومن منعه عزل ، وهو قوت قلوب العارفين التي متى فارقتها صارت الأجساد لها قبوراً ، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بوراً ، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق ، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الطريق ودواء أسقامهم الذي متى فارقه انتكست منهم القلوب ، والسبب الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب.



به يستدفعون الآفات ويستكشفون الكربات وتهون عليهم به المصيبات ، إذا أظلم لهم **البلاء** فإليه ملجؤهم ، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم ، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون ، ورؤوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون ، يدع القلب الحزين ضاحكا مسرورا ، ويوصل الذاكر إلى المذكور ، بل يدع الذاكر مذكورا ، وفي كل جراحة من الجوارح عبودية مؤقتة (والذكر) عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقتة ، بل هم يؤمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال ، قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، فكما أن الجنة قيعان وهو غراسها ، فكذلك القلوب بور خراب وهو عمارتها وأساسها .

وهو جلاء القلوب وصقالتها ودواؤها إذا غشيها اعتلالها ، وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقا ازداد محبة إلى لقائه للمذكور واشتياقا ، وإذا واطأ في ذكره قلبه للسانه نسي في جنب ذكره كل شيء ، وحفظ الله عليه كل شيء ، وكان له عوضا من كل شيء ، به يزول الوقر عن الأسماع والبكم عن الألسنة ، وتتقشع الظلمة عن الأبصار.

الأمر بالذكر في القرآن الكريم

زين الله به ألسنة الذاكرين كما زين بالنور أبصار الناظرين ، فاللسان الغافل كالعين العمياء ، والأذن الصماء واليد الشلاء، وهو باب الله الأعظم بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته ، قال **الحسن البصري** : ” تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء : في الصلاة وفي الذكر وقراءة القرآن ، فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق .

ماهي آيات ذكر الله في القرآن الكريم ؟

وقد جاء الأمر بذكر الله عز وجل في كثير من آيات القرآن الكريم:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ} [العنكبوت: 45]

وقال تعالى: {فاذكروني أذكركم واشكروا لي} (البقرة 152)

وقال تعالى: {اذكروا الله ذكرا كثيرا} (الأحزاب 41)

وقال تعالى: {والذاكرين الله كثيرا والذاكرات} (الأحزاب 35)

وقال تعالى: {الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم} (آل عمران 190)

وقال تعالى: {إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا} (الأنفال 44)

وقال تعالى: {فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا} (البقرة 200)

وقال تعالى: {لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله}

وقال تعالى: {رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة} (المنافقون 9)

وقال تعالى: {واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين} (الأعراف

205).

خير الأعمال

وذكر الله عز وجل من عظامم الأجر ما يذهل المسلم ويدفعه دفعا حثيثا إلى عدم الغفلة عن الذكر لحظة واحدة في حياته، بل ويجعله يعرض أصابعه ندما وحزنا على دقيقة واحدة ضيعها في غير ذكر الله عز وجل.

ماذا قال الرسول ﷺ عن فضل الذكر ؟

من ذلك الحديث الذي أخرجه أحمد في المسند والترمذي وابن ماجه في السنن وغيرهم عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله - ﷺ - "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى."

ولما في هذا الحديث من الأجر العظيم على العمل القليل فقد يكون هذا سببا لشك في صحة الحديث، لكن هذا الحديث قد صححه جمع من أهل العلم مثل **البغوي** والمنذري والعراقي والهيتمي والحاكم والنووي، وغيرهم الكثير من المتقدمين والمتأخرين.



وقد عقب على هذا الحديث العز ابن عبد السلام في قواعده فذهب إلى أن هذا الحديث وغيره من الأدلة المتكاثرة تدل على أن الثواب لا يُشترط أن يكون على قدر النَّصَب والتعب في جميع العبادات بل قد يأجر الله تعالى على قليل الأعمال أكثر مما يأجر على كثيرها، فإن الثواب يترتب على تفاوت الرتب في الشرف، وأن ذكر الله تعالى من أعظم الأعمال شرفاً.

وقال المناوي في التيسير معقبا على هذا الحديث: (لأن جميع العبادات من الإنفاق ومقاتلة العدو وغيرهما وسائل ووسائط يتقرب بها إلى الله والذكر هو المقصود الأعظم والقلب الذي تدور عليه رحا جميع الأديان) اهـ.

ويكفي للدلالة على قيمة الذكر العظيمة، ومنزلته الرفيعة، وأثره الكبير، أن الله سبحانه وتعالى أمر به عند الجهاد، والتقاء الجيوش، وتطابير الرؤوس، قال تبارك وتعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [الأنفال: 45]

يقول الدكتور وهبة الزحيلي في تفسيره لهذه الآية في التفسير المنير: ” والثاني من عوامل النصر في الآية هو ذكر الله كثيرا: بذكره في القلب واللسان، والتضرع والدعاء بالنصر والظفر؛ لأن النصر لا يحصل إلا بمعونة الله تعالى، وذكر الله في أثناء القتال يحقق معنى العبودية لله، ويشعر بمعنى الإيمان والتفويض لله والتوكل عليه، ويقوي الروح المعنوية، فبذكره تطمئن القلوب، ويؤمل النصر والفرج، وبدعائه تتبدد الكروب والمخاوف، ويحلو الموت في سبيل الله عز وجل ”.

ومما يدل على عظيم أجر ذكر الله عز وجل ، وعمق أثره في نفس المسلم ووجدانه، قول الحق سبحانه وتعالى : { ائْتِ مَا أَوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ } (العنكبوت: 45) وفي تفسير هذه الآية أقوال كثيرة نقتصر منها على معنيين:

- الأول: قال ابن كثير: (يعني: أن الصلاة تشتمل على شيئين: على ترك الفواحش والمنكرات، أي: إن مواظبتها تحمل على ترك ذلك.. وتشتمل الصلاة أيضا على ذكر الله تعالى، وهو المطلوب الأكبر؛ ولهذا قال تعالى: { ولذكر الله أكبر } أي: أعظم من الأول).

- الثاني: قال ابن زيد وقتادة: معناه: ولذكر الله أكبر من كل شيء. وقيل لسلمان: أي الأعمال أفضل؟ فقال للسائل: أما تقرأ القرآن { ولذكر الله أكبر }.

وأختم بما قاله أحد السلف: ” مساكين أهل الدنيا ، خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها .



قيل : وما أطيب ما فيها ؟

قال: محبة الله ، والأنس به ، والشوق إلى لقائه ، والتنعيم بذكره وطاعته “.